المحاضرة الرابعة

1-2-التمثل البنيوي للجملة عند اللسانيين المحدثين

تعد الجملة من أهم المكونات الأساسية للغة، بل تكاد تكون اللبنة التي قامت عليها جل الدراسات اللسانية الحديثة، وترجع أهميتها إلى كونها تمثل وحدة تركيبية تتخذها كل دراسة نحوية تروم وصف اللغة منطلقا للوصف والتقعيد، وتجعل من أهم أهدافها وصف بنيتها المجردة ، وما يتخرج على البنية من أنماط، وما يرتبط بكل نمط من مقاصد ودلالات وضوابط تتحكم في الأبنية المكونة ووظائفها. وقد بقى البحث اللساني ردحا من الزمن حبيسا عند مفهوم الجملة، حيث شكلت محور اهتمام اللسانيين لمدة ليست بالقليلة واعتبرت موضوعا للدرس اللغوي، والوحدة اللغوية الكبرى للدراسة، فقد اعتمدت دراسات التراكيب اللغوية جميعها على وجه التقريب منذ نشأتها في العصور السحيقة على مفهوم الجملة دون غيره.[37]وعلى ذلك قامت النظريات النحوية والاتجاهات اللسانية المختلفة التي تهتم بالجملة.

ومن أبرز اللسانيين الذين عرفوا الجملة دي سوسير، فقد اعتبرها أحسن نموذج يمثل التركيب، إلا أنها من مشمولات الكلام لا اللغة، أفلا ينجر عن ذلك أن يكون التركيب أيضا من مشمولات الكلام.[38] كما اعتبرها عبارة عن تتابع من الرموز، وأن كل رمز يسهم بشيء من معنى الكل، لهذا فكل رمز داخل الجملة يرتبط بما قبله وبما بعده، وأطلق على تتابع الرموز وارتباطها في داخل الجملة مصطلح (syntagmatique). [39] وذهب محمود نحلة إلى أن التضام عند دي سوسير يتألف من وحدتين أو أكثر من الوحدات اللغوية التي يتلو بعضها بعضا، وهو لا يتحقق في الكلمات فحسب بل في مجموعة الكلمات أيضا، وهي الوحدات المركبة من أي نوع كانت." الكلمات المركبة المشتقات أجزاء الجملة كلها"، وهو عنده يمكن أن يكون وحدة النظام اللغوي.[40] بينما عرفها أندريه مارتيني بأنها:« أصغر قول لابد أن يشمل على عنصرين ، يشير أحدهما إلى مضمون أو حدث ويشد الانتباه إليه ونسميه المسند ويشير الآخر إلى مشارك إيجابي أو سلبي ونسميه المسند إليه، ويكون تقويم دوره أيضا على هذا الأساس».[41] فهو بذلك اعتبر المسند وحدة مركزية وهو مركز التنظيم التركيبي للجملة المستقلة ويشكل بذلك قمة الهرم الذي تبدو باقي عناصر الملفوظ كتوسعات ثانوية ، وذلك دون المسند إليه ليس في التركيب الإسنادي فحسب بل في تركيب الجملة كلها. بينما ذهب هاريس إلى أنها كل امتداد من حديث شخص واحد يقع بين سكتتين من قبل ذلك الشخص.[42] والسكوت المعتبر هو سكوت المتكلم لا السامع. أما ليونارد بلومفيلد فقد راعى فكرة الاستقلال أثناء تعريفه للجملة وأهمل بالمقابل فكرة التمام، لأنها مرتبطة بالمعنى، فانعكس ذلك على مفهوم الجملة عنده، فهي في نظره عبارة عن شكل لغوي مستقل، لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي في شكل لغوي أكبر منه.[43] وهذا ما يفسر بأن فكرة استقلال التركيب هي الأساس.[44] حتى يكون قابل للتحليل إلى المكونات النحوية المباشرة والمكونات النهائية.

أما رواد المدرسة التوليدية التحويلية فقد انطلقوا في تعريفهم لها من تصورهم لمفهوم قواعد اللغة فهي عندهم جهاز أو وسيلة لتوليد جميع الجمل الصحيحة ، وعليه فالجملة عندهم هي مجموعة من العبارات تخلقها ميكانيكية القواعد في النموذج التوليدي.[45] وهي كل ما تنتجه القواعد التحويلية ذاتها بقوانينها الباطنية والمفرداتية والتحويلية والمورفيمية الصوتية، وقد ميزوا بين نوعين من الجملة الجملة النواة والجملة المشتقة ، ووصفوا الجملة الأولى بأنها هي الجملة البسيطة والتامة والصريحة والإيجابية والمبنية للمعلوم والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالبنية البسيطة للفكرة ، وأن الجملة الثانية محولة تنقصها خاصية من خاصية الجملة النواة.[46] واقترحوا مستويين لدراسة جمل اللغة مستوى أول تمثله البنية السطحية، وهي التي نتوصل إليها عبر تتابع الكلمات التي ينطق بها ومستوى ثان البنية العميقة وهي التي تعكس المنطق الداخلي للجملة وأن البنية السطحية والعميقة مختلفتان فكل لغة تشتمل على سلسلة من الفونيمات تولد جملا لا نهاية لها.[47]